كندائك، ولا ابتهجت روحي بشهادة كشهادتك ترفعينها في الغداة وفي العشي، في صخب النهار وفي هدأة الليل، إلى من تحجّب عن العين والأذن وهو في العين والأذن، وعن الفكر والفؤاد وهو محور الفكر ونبض الفؤاد؛ إلى البداية التي لن تنتهي، والنهاية التي لم تبتدىء؛ إلى علّة الوجود وضميره الحيّ القيّوم الرحيم الرحمن؛ إلى الأب الذي نحن أبناؤه وعلى صورته ومثاله، والذي يشرق شمسه على الأبرار والأشرار بالسواء.

عفوك يا نواقيس ويا مآذن تتجاوب بأنغامك وندائك وشهادتك الآفاق والسدم والنجوم. أما الذين من تحتك فلا يسمعون ولا يعون، ولو أنّهم سمعوا ووعوا لما كانت لهم السجون تعجّ بالجرائم والمجرمين، والمشانق تبكّتهم على مسمع من العالمين، والمحاكم تتصدّع من كثرة الدعاوى والمتداعين، والجيوش تأكل خبز الجياع وتلبس كساء العراة ولا عمل لها إلّا التأهبّ لصدّ الغزاة والفاتحين. ولا كانت مدارسهم متاجر، ومتاجرهم معاثر، وملاهيهم مواخير ومقابر، ومعابدهم مراخم تنقف فيها الضغائن والمشاكل.

لأنت جديرة بآذان غير آذاننا يا نواقيس ويا مآذن.

★ ★ ★